٣ صور أديسون المتحركة الأيام الأولى

بقلم : جون ميرسر

كان يقال عن طوماس أديسون المخترع الأمريكى العظيم لسنين عديدة إنه أب الصور المتحركة – أى صور متحركة مصنوعة من شريط من فيلم فوتوغرافى مطاط أو أغشية معينة – على أن الدراسات التى أجريت فى غضون العشرة الأعوام المنصرمة قد أقامت الدليل على أن أديسون لم يكن له شأن ذو بال بالأجهزة التى أدت إلى إنتاج أول صور متحركة على فيلم فى أمريكا .

وجدير بالذكر أن الفضل للاختراع الحقيقى يجب أن يسند إلى وليم ديكسون ، مساعد أديسون .

وإلى جانب ذلك ، فقد ثبت أنه على الرغم من أن الصور المتحركة على الفيلم قد صنعت فى إنجلترا وفرنسا قبل أن تصنع فى معمل أديسون ، فإن بداية الصناعة التجارية للصور المتحركة فى أمريكا كانت نتيجة لجهود الرجال الذين كانوا يعملون لحساب أديسون ، وبخاصة نجاح أديسون فى الحصول على براءات اختراع هامة لمهماته وأجهزته . على أن الأفلام التى صنعتها شركة أديسون كانت بالنسبة للإنجاز الفنى محدودة جدا . وكان رجال أمثال د . و . جريفيث الذى كان يعمل لحساب شركة أخرى وسيرجى

ايسنشتاين فى روسيا هم الذين صنعوا أفلامًا جعلت من السينما فنا مستقلا بذاته ، معنى وأسلوبًا .

وتتحدد الفترة التى صنعت فيها شركة أديسون أفلامًا من عام ١٨٨٩ إلى عام ١٩١٥ حينما توقف الإنتاج فجأة .

ولعل ثمة ثلاثة أسباب حدت بأديسون فى عام ١٨٨٨ إلى أن يقرر توجيه بعض اهتمامه إلى فكرة بناء آلة للصور المتحركة . أولا إن صورته التى لاقت إذ ذاك نجاحًا عظيمًا وأضافت رصيدًا جديدًا إلى شهرته التى عمت الدنيا بأسرها ، حدت به إلى بذل مزيد من الاهتمام بجميع نواحى التكنولوجيا ، وقال فيما بعد فى هذا الصدد إنه قرر فى الواقع أن يحاول أن يصنع شيئًا للعين ما كانت الصورة قد فعلته للأذن . وثانيًا إنه كان يعرف من عمل رجال أمثال مايبريدج فى أمريكا وماريه فى فرنسا وفريز — جرمين فى انجلترا . كان مايبريدج مثلاً قد صمم جهازًا للعرض « بروجكتور » سماه « زوبرا كسيسكوب » الذى كان يعرض صورًا من طبق زجاجى دائرى ، يدور بطريقة تظهر الصور وكأنها تتحرك بطريقة طبيعية . وقد عرض مايبريدج جهازه هذا على نطاق واسع فى أمريكا ونشر عنه مقالات فى المجلات والجرائد العلمية . وثمة سبب ثالث وهو وليم ديكسون ، مساعد أديسون الصغير السن ، الذى كان مصورًا وقادرًا على معالجة مشكلة التصوير المتحرك .

كان أديسون وديكسون على علم بعمل أوتومار أنشوتز فى ألمانيا ، وهو الذى اخترع آلة سميت « تاتسيسكوب » . وكان هذا الجهاز ينتج صورا متحركة بدون استخدام فيلم مرن ولكنه لم يكن يستطيع عرض هذه الصور على شاشة .

كان الكثير حينذاك معروفًا عن التصوير ، فقد كانت هناك عدسات جيدة وأجهزة عديدة التى كانت تستفيد من مبدأ استمرارية الرؤية لإحداث صور متحركة . وكانت بعض هذه الأجهزة ، يستخدم فيها « مصراع الكاميرا » لحجب ضوء آلة العرض أثناء

تغيير الصورة . وكانت مهمة ديكسون الأساسية اكتشاف طريقة ما لاستخدام مصراع بالنسبة لحركة الفيلم المتقطعة .

فى عام ١٨٨٨ كان أديسون مستغرقًا كل الاستغراق فى محاولات لاتفاق عملية لفرز الحديد الخام . وكانت شركة أخرى تنتج أجهزة فوتوغرافاته ، ولم يكن مهتما بتطوير الفوتوغراف ، لأنه كانت لديه اهتمامات أخرى وكان لديه معمل كبير يعمل فيه عدد من العمال المهرة الذين كانوا مشغولين بمشروعات عديدة .

ولكن أديسون كلف ديكسون بالمضى فى العمل لإنتاج آلة للصور المتحركة فى وقت فراغه .

وقد يكون إلمام ديكسون بجهاز تاكيسكوب الذى اخترعه أنشوتز ، هو العامل الذى ساعده فى تصميم آلته الأولى ، لقد حاول وضع صور صغيرة جدا على أسطوانة وتسليط ضوء على كل صور منه حينما تصل إلى مكان سقوط الضوء أثناء تحرك الأسطوانة . كانت تلك الصورة صغيرة جدا ومن ثم فقد قرر ديكسون أن يحاول صنع جهاز قادر على استخدام شرائح أكبر من أفلام الصور الذى يمكن به تسجيل صور أكبر .

وكان من حسن حظ ديكسون إذ ذاك أن عددًا كبيرًا من صانعى المواد الفوتوجرافية قد توصلوا إلى طريقة لوضع مادة دقيقة ذات حساسية للضوء على شرائح مرنة من السيلولويد ، وأصبحت هذه المادة تعرف فيما بعد بالفيلم ، بدلاً من الشرائح الزجاجية الأقدم عهدًا التى كانت شائعة الاستعمال فى التصوير الثابت . وقد اشتقت كلمة فيلم من كلمة « فيلمن » Filmen – التى كانت تستخدم فى اللغة الأنجلو – ساكسونية كاسم للزبد الذى يتكون حينما يتم تسخين اللبن . كانت وفرة الأفلام المرنة ذات أهمية بالغة بالنسبة لمحاولات ديكسون لصنع آلة ناجحة للصور المتحركة . كان رجل يدعى جون كاربوت يشرف على عمل إحدى الشركات المنتجة لمثل هذه الأفلام ، وقد حصل

ديكسون من شركة كاربوت على أول شرائح من الأفلام المرنة فى عام ١٨٨٩ .

فى الثالث من شهر أغسطس عام ١٨٨٩ سافر أديسون إلى فرنسا ليجتمع بماربيه وليزيد اهتمامه بصناعة الصور المتحركة . وكان قبل مغادرته إلى فرنسا قد حث ديكسون على مواصلة عمله ، وقد عمل الأخير بهذه النصيحة ونجح فى صنع « كاميرا » تسجل عدداً من الصور المتحركة على قطعة صغيرة من فيلم . وإلى جانب ذلك صنع آلة للمشاهدة وهى بمثابة صندوق يستطيع شخص واحد أن ينظر من فتحة فيه ليرى الصور المتحركة . سميت الكاميرا باسم « كينيتوجراف » وآلة المشاهدة « كينتوسكوب » . كان أول فيلم شوهد فى الآلة صور نيجاتيف ثم صنعت فيما بعد أجهزة لتحويل النجاتيف إلى بوسيتيف .

وفى الوقت الذى كان يجرى فيه تطوير آلتى « الكينتوجراف » و « الكنتوسكوب » سجل أديسون تحذيرات عديدة أو إعلانات فى مكتب البراءات الأمريكى بغية ضمان الحماية لاختراعاته بعد إتمامها .

وفى ٢٠ مايو من عام ١٨٩١ تم عرض أول آلة « كينتسكوب » ناجحة للجمهور فى معمل أديسون بمدينة « ويست أورانج » بولاية نيو جيرسى . ومع أن آلة « الكينتسكوب » قد صممت لاستيعاب أفلام طولها ٥٠ قدماً أو حوالى ١٢ متراً ، فإن هذه الأفلام لم يكن لها وجود فى ذلك الحين لأن أول كاميرا صنعت لم تكن تستطيع استيعاب أكثر من بضعة ملليمترات من الفيلم فى وقت واحد .

ولكى يسير فى عمله على ما يهوى ، كان ديكسون بحاجة إلى مصدر يحصل منه على شرائح أفلام أطول ، وأخيرًا وجدها عند جورج ايستمان ، مؤسس شركة كوداك إيستمان . لم يكن إيستمان مخترعاً بقدر ما كان من رجال الصناعة والتسويق ، وكان فيلمه من نوع أفضل من غيره ومن ثم بدأ ديكسون فى استعماله .

كانت الكاميرا الأولى تلتقط صوراً مع تحرك الفيلم أفقيًّا ، لم تكن هذه الكاميرا

ناجحة ، ومن ثم قرر ديكسون أن يصنع كاميرا أخرى يتحرك فيها الفيلم رأسيًّا ، وكانت الكاميرا الثانية ناجحة ، وقد عدلت واستخدمت لصنع أول صور متحركة تجارية فى أمريكا ، ولكن هذه الكاميرا ما لبثت أن اختفت ولم يعد لها أى وجود .. كانت تلك الأفلام تصنع فى استوديو كبير بنى بالقرب من معمل أديسون .. كان لهذا الاستوديو سقف متحرك يمكن فتحه للسماح لأشعة الشمس بالسقوط على الممثلين وكان الأستوديو كله يمكن تحريكه فى اتجاه نصف دائرى على قضبان من الصلب أثناء النهار لضمان سقوط أشعة الشمس على منطقة التصوير . كان الاستوديو مبنيا من الخشب وورق أسود مضاد للحريق ، وكان يسمى استوديو « ماريا السوداء » .

كانت الكاميرا أو الكينتوجراف حينما تعمل تلتقط ٤٠ صورة فى الثانية ، وكان يمكن تشغيلها بالبطاريات . إن غالبية أفلام أديسون الأولى قد صنعت فى استوديو « ماريا السوداء » وكان بعضها يتم صنعه خارج هذا الاستوديو . كانت جميع الأفلام الأولى قد صنعت للعرض فى الكنتوسكوب وإن كان ديكسون قد بدأ محاولاته لصنع بروجكتور .

كان أحد أفلام الكنتوسكوب هذه يعرض مجموعة من الممثلين بملابس كانت تستأجر لهذه المناسبة . وكان موضوع الفيلم هو إعدام مارى ، ملكة الأسكتلنديين . وقد استخدمت فى هذا الفيلم حيلة بسيطة فى الكاميرا ، وأصبحت هذه الحيلة تعرف فيما بعد بالتصوير « العديم الحركة » ، وتفصيل ذلك إن الكاميرا وحركة الممثلين تبدآن فى العمل معًا وعند وقت محدد يطلب من الممثلين التوقف عن الحركة . وفى هذه اللحظة يجرى تغيير شىء ما فى المشهد إذ يتم استبدال وضع دمية محل الممثلة التى تمثل دور مارى ملكة الأسكتلنديين ثم تستأنف الحركة حيث يتولى جلاد قطع رأس الدمية ، ويرفع هذه الرأس للنظارة للمشاهدة . قد يكون فيلم « إعدام الملكة مارى » ملكة

الأسكتلنديين ، أول فيلم تستخدم فيه الملابس التقليدية وأول فيلم تستخدم فيه حيلة فى التصوير .

وعند حلول عام ١٨٩١ كان ديكسون الذى كان يعمل لحساب أديسون ، قد أقنعه زملاؤه بأن تبدأ الشركة فى صنع أفلام لأغراض تجارية . ومن بين الحوافز التى شجعته على الإقدام على هذا العمل هو إمكانية صنع آلة تكون معدة للعرض فى معرض كولومبيا ، وهو معرض كبير أقيم فى شيكاغو فى عام ١٨٩٤ . كان أديسون سيكون له

مشهد خارجى لأول أستوديو للصور المتحركة ، يسمى أستوديو « ماريا السوداء » بنى فى ساحة معمل طوماس أديسون . أنشئ هذا الأستوديو حوالى عام ١٨٩٢ ، وكان يشبه الحظيرة وله سقف يمكن تعليته وخفضه ويتحرك على قضبان شبه دائرية وكانت تغمره أشعة الشمس . وكان سقفه وجدرانه من الداخل والخارج مكسوة بورق أسود ومن هنا سمى باسم « ماريا السوداء » .

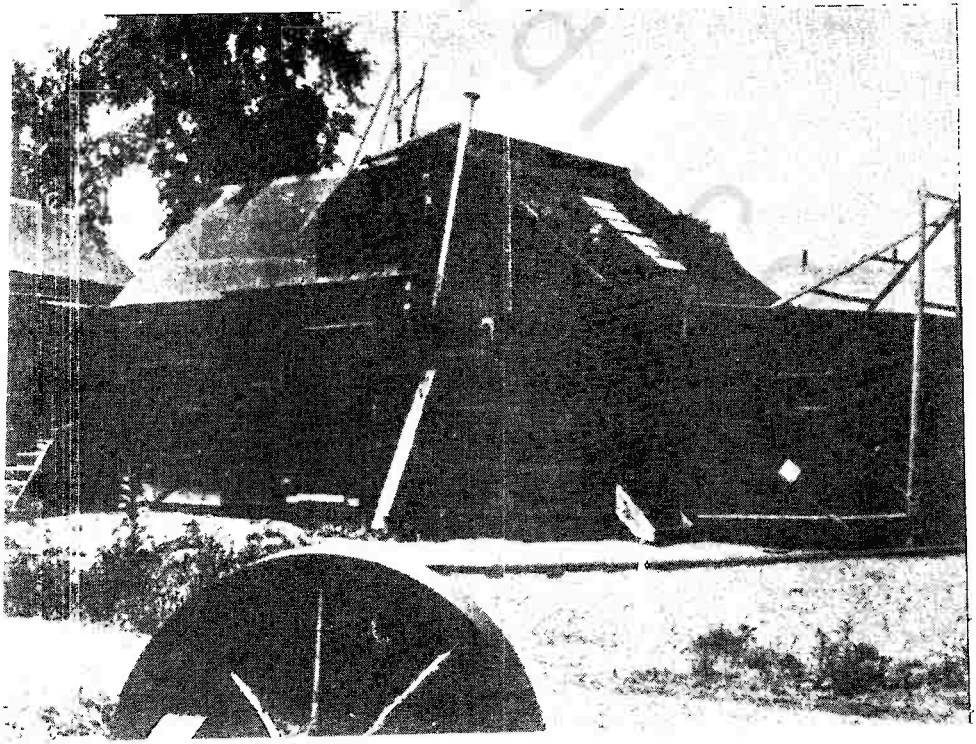

جناح فى هذا المعرض ، ولم يكن ثمة شك فى أن يكون بائع السعادة بأن يكون لديه اختراع لعرضه ، ولكن حدث أن مضى العمل فى أجهزة الكنتوسكوب بطيئًا ، ولكن الأفلام أعدت فى استوديو « ماريا السوداء » وكان ذلك يجرى حينما يقوم شخص مشهور مثل ساندو ، الرجل القوى ، بزيارة أديسون .

« كان أديسون فى تلك الأثناء منهمكاً بمشروعات عديدة أخرى ، ولم يكن يعتقد بأن الصور المتحركة يمكن أن تصبح شائعة ولكنه كان مخطئًا فى تقديره كل الخطأ ، بل إنه ذهب إلى حد الامتناع عن إنفاق مبلغ ١٥٠ دولاراً مقابل تسجيل براءات اختراعاته فى إنجلترا ، وقد علم رجل إنجليزى يدعى روبرت بول بذلك وبدأ فى صنع كاميرات وأجهزة للمشاهدة مثل الكنتوسكوب ثم عمد إلى صنع آلات العرض ، وقد أصابت كل هذه المنتجات نجاحًا تجاريًا ، أما فى فرنسا فقد كان إخوان كومبير منهمكين بتصميم كاميرا ممتازة للصور المتحركة التى يمكن استخدامها أيضًا كآلة عرض » .

وفى شهر أبريل من عام ١٨٩٤ ، عرضت على الجماهير أول عشرة أجهزة كينتوسكوب فى شارع برودواى بمدينة نيويورك .. وكانت الأفلام الموجودة فى الأجهزة مختلفة عن بعضها البعض . وكان الفيلم فى الكنتوسكوب بمثابة حلقة كبيرة لا نهاية لها تدور حول سلسلة من الأسطوانات . ولكى يرى المشاهد فيلماً كان عليه أن يبتاع تذكرة تؤهله لمشاهدة خمسة أفلام ، وكان المشاهد ينظر من خلال ثقب فى أعلى الآلة حيث يرى فيلمًا مدته دقيقة .

كانت الأفلام العشرة الأولى التى عرضت تضمن فيلمًا عن ساندو الرجل القوى والأكروبات ومشهدًا فى دكان حلاق ورقصة اسكتلندية وبعض الفراخ . أما بالنسبة لبعض أجهزة الكنتوسكوب الأصغر حجمًا ، فإنها تعمل أوتوماتيكيًا بوضع قطعة من النقود فى ثقب معين .

لقد أصابت أجهزة الكنتوسكوب نجاحًا عاجلاً ، ففى خلال المدة من عام ١٨٩٤

إلى عام ١٩٠٠ ، أنتجت شركة أديسون ألف جهاز منها تقريبًا استخدمت فى جميع المدن الأمريكية الكبيرة ، ولكن سرعان ما استبدلت بآلات للعرض وكان مصيرها لسوء الحظ التدمير ، ولم يبق منها سوى ستة أجهزة حتى اليوم .

كانت الأفلام القصيرة التى تعرض بواسطة الكنتوسكوب تتضمن لقطات من الحركات . وكان المسئولون فى شركة أديسون يشعرون بأنها ستكون موضع اهتمام الجمهور ، لقد كانت المشاهد تتضمن بهلوانات وراقصات وراقصين ومبارزة بالسيوف والمصارعين والحيوانات المروضة .

لقد جرت محاولات فى عدد من الأفلام لحكاية قصة ، ولكن هذه القصص لم تزد عن كونها حوادث أو تابلوهات مصحوبة بحركة قليلة . وجدير بالذكر أن الأفلام الروائية الأطول لم تبدأ إلا بعد أن أصبح فى الإمكان إنتاج آلة للعرض .

لقد بدأ اهتمام الجماهير بأفلام الكنتوسكوب القصيرة يتضاءل فى أوائل عام ١٨٩٥ . على أن حدثاً هاما آخر وقع فى ذلك العام ، فقد تمكن مخترع أمريكى يدعى فرنسيس جنكينز ، من اختراع آلة عرض وتلقى تمويله من طوماس أرمات ، وعرضت هذه الآلة وثبتت جودتها العالية . ورأى نورمان راف وفرانك جامون اللذان كانا يعملان فى مشروعات أديسون ، آلة العرض التى صنعها جنكينز وأرمات واقتنعا بأن مستقبل الصور المتحركة يكمن فى عرض الأفلام على جمهور كبير من المشاهدين . لقد كان واضحًا كل الوضوح أن مكاسب أكثر ستتحقق لو أقبل عدد أكبر من الناس على مشاهدة الفيلم بدلاً من شخص واحد فى المرة الواحدة .. ولقد بذل ديكسون محاولات عديدة لإنتاج آلة عرض ولكن كل محاولاته باءت بالفشل ، أما أديسون فقد قرر الانضمام إلى جنكينز وأرمات لصناعة آلات العرض .

وثمة سبب لتفوق البروجكتور (آلة العرض) الجديد هو أن جنكينز اكتشف أن الصورة المعروضة يمكن تحسينها باستخدام وقت أقصر ومدة إضاءة أطول لكل صورة

من صور الفيلم . ولكى يتسنى ذلك كان لابد من إضافة مصاريف (أدوات لفتح أو سد العدسة) مع ثلاث من الريش ، وكان الفيلم يعرض فى الوقت الذى تحجب فيه إحدى هذه الريش الضوء .

ولقد تقرر إطلاق اسم فيتا سكوب على البروجكتور الجديد . وفى ٢٣ أبريل من عام ١٨٩٦ استخدم هذا البروجكتور لعرض صور متحركة فى مسرح لأول مرة فى نيويورك . لقد كان رد الفعل عظيمًا عند الجماهير ، واعتبر ذلك الحدث إيذانًا ببدء الصور المتحركة المسرحية فى أمريكا ، على أنه يجدر بالذكر أن عرض الأفلام فى المسارح قد بدأه إخوان لوميير فى باريس فى شهر ديسمبر من عام ١٨٩٥ ، كما أجراه روبرت بول فى إنجلترا فى شهر فبراير من عام ١٨٩٦ ، أى قبل ظهور الفيتاسكوب بأربعة أشهر فى فرنسا وشهرين فى إنجلترا على التوالى . وقد استخدم الفيتاسكوب الأول للفيلم فى حلقات لا نهائية ، ولكن العرض باستخدام الأفلام الملفوفة على بكرات لم يكن قد بدأ ، وإن كان وقته إذ ذاك قد حان .

لم يكن السبب فى أن تغطى شهرة أديسون على غيره من المخترعين فى الأيام الأولى للصور المتحركة فى أمريكا نتيجة لاختراع مبكر أو حتى لنوع مهماته وأجهزته ، وإنما كان فى الواقع لقدرته على الحصول على براءات اختراعات أمريكية لكاميراته وبروجكتوراته بعد مناورات قانونية واسعة النطاق . ولقد أثبت جوردون هندريكس ، وهو من المثقفين الأمريكيين والإخصائيين فى تاريخ صور أديسون المتحركة ، إن أديسون لجأ فى محاولات للحصول إلى براءات اختراع إلى إصدار بيانات غير صحيحة ، ولكن نظرًا لأن ديكسون صنع آلة لتخريم الأفلام ولأسباب أخرى ، منح أديسون فى النهاية براءات الاختراع التى مكنته من إبعاد الأمريكيين الآخرين عن صنع آلات الصور المتحركة وبيعها لسنوات عديدة .

وما أن حل عام ١٩٠٠ حتى ازداد إقبال الجماهير على مشاهدة الصور المتحركة ،

ونتيجة لذلك أنشئت مسارح صغيرة للصور المتحركة فى كل فضاء متاح فى غالبية المدن الأمريكية ، وإلى جانب ذلك كانت الأفلام تعرض فى نهاية برامج الفوديفيل فى المسارح الكبيرة . ولما كان النظارة يدركون أن الفيلم هو نهاية البرنامج ، كانوا يبدءون بالخروج ، وأصبحت مثل هذه الأفلام تعرف باسم « الأفلام المطاردة » . ولقد ازداد الطلب فى ذلك الوقت على الأفلام لسببين آخرين . لقد كان فى أمريكا عدد متزايد من المهاجرين الذين يتكلمون الإنجليزية أو يفهمونها ، وكانوا يفهمون السينما الصامتة ويتمتعون بمشاهدتها ، وكانوا يستطيعون الاستغناء عن سنتات قليلة مقابل فترة ترويحية قصيرة ، وإلى جانب ذلك جرى إذ ذاك إضراب من جانب ممثلى الفودفيل .

ومن ثم حاول أصحاب المسارح الحصول على مزيد من الأفلام لكى يكفلوا بقاء مسارحهم مفتوحة الأبواب .

ومع ذلك سئمت الجماهير الأفلام القصيرة التى كانت فى الغالب أفلامًا إخبارية ، ومشاهد سفرية وراقصات وبهلوانات . ولكن لحسن الحظ بدأ جورج ميلييه الفنان الفرنسى المبدع فى إنتاج الأفلام الروائية التى تحكى قصصًا قصيرة بواسطة ما وصفها « بالمشاهد المرتبة صناعيًا » لقد أضافت أفلامه دماً جديدًا للسينما لأنها بعثت البهجة والسرور فى نفوس المشاهدين ، وكانت هذه الأفلام حافزًا للعاملين فى صناعة السينما فى إنتاج أفلام قصصية أطول ، على أن أفلام ميلييه كانت دائمًا تشبه المسرح ، فقد كانت الكاميرا طول الوقت مثبتة فى مكان واحد وكان المشهد يمثل حتى النهاية قبل أن يبدأ المشهد الثانى ، لم يكن هناك كاميرا متحركة أو « تحرير » كما نعرفه اليوم .

وليس ثمة شك فى أن الرجال الذين كانوا يصنعون الأفلام لحساب أديسون شاهدوا كثيرًا من أفلام ميلييه ، لأنها عرضت على نطاق واسع فى أمريكا . وإلى جانب ذلك كانت أفلام لمنتجين إنجليز أمثال سيسيل هيبويرث وتشارلز أوربان معروفة .

كان أحد منتجى أفلام أديسون رجلاً يدعى أدوين س . بورتر . وكان مقدرًا لهذا

الرجل أن يساهم بالجزء الأكبر من مساهمة شركة أديسون فى التطوير الفنى للصور المتحركة . فى عام ١٩٠٣ أخذ بورتر بعض لقطات لرجال مطافئ يلبون نداءً وإنذاراً بنشوب حريق ويسوقون أحصنتهم السريعة الجرى فى الشوارع . وقد طرأت لبورتر فكرة فى إعداد قصته للفيلم بإضافة بعض المشاهد لرجال المطافئ وهم ينقذون أمًّا وطفلها من بيت تأكله النيران . ولقد صورت هذه المشاهد الإضافية ووزع الفيلم بعنوان « حياة رجل مطافئ أمريكى » . ومع أنها كانت تروى قصة سينمائية بدائية ، إلا أنها لاقت نجاحًا سريعًا عند الجماهير .

ومن هذا النجاح قرر بورتر إعداد فيلم موضوعه قصة من غرب الولايات المتحدة . فقد ألبس بعض الرجال ملابس رعاة البقر واستعار قطاراً كاملا وقاطرة فى نيو جيرسى وأقام مشهدًا لمحطة ومشهدًا لقاعة رقص وأعد فيلمًا يصور قطاع الطرق وهم يسرقون القطار ولكن رجالاً آخرين يعثرون عليهم بعد مطاردة طويلة ثم يطلقون عليهم الرصاص ويردونهم قتلى . كان هذا الفيلم يتسم بالواقعية والعمل الجسور مع استخدام ناجح لأسلوب التحرير الفنى . كان هذا الفيلم يسمى « سرقة القطار الكبرى » وقد أحدث تأثيرًا كبيرًا على العاملين فى صناعة السينما الذين شاهدوه وبدءوا ينتجون أفلامًا مماثلة عن « حوادث الغرب » . وعمد بورتر فيما بعد إلى إنتاج فيلم باسم « حلم شيطان » وكان هذا الفيلم بمثابة خيال رائع على غرار أفلام ميلييه . على أنه لم يحدث أن امتاز أى من أفلامه الأخرى . وكانت شهرته كمساهم فى الفن السينمائى مصدرها التجديد الذى حققه فى فيلمه « سرقة القطار الكبرى » .

لقد سميت الفترة من عام ١٩٠٣ إلى عام ١٩١٢ بعصر الفيلم ذى البكرة الواحدة . وحدد إخوان لوميير معدل الفيلم الموحد بحوالى ١٦ صورة فى الثانية . وكانت بكرة الفيلم مقاس ٣٥ ملليمترًا وطوله ٩٠٠ قدم يستغرق عرضه حوالى ١٥ دقيقة . وكان كثير من المشتغلين فى صناعة الأفلام يعتقدون بأن الجماهير ليس لديها جلد فى تحمل مشاهدة

أفلام أكثر من بكرة واحدة ، وهكذا ظل المبدأ العام طوال عشرة أعوام بالنسبة للجماهير أن يختلفوا إلى « مسارح » الصور المتحركة الصغيرة لمشاهدة فيلم ذى بكرة واحدة ثم يغادرون المسرح . وعمدت مسارح كثيرة إلى عرض فيلم « سرقة القطار الكبرى » طوال النهار وجانبًا من الليل .

كان صاحب مسرح سينمائى صغير فى الأيام الأولى للصور المتحركة المعروضة يجمع كلمتى « النيكل » و « وأوديون » . وكانت قطعة النيكل الأمريكية هى ثمن الدخول أما كلمة « أوديون » باللغة اليونانية فإنها تعنى مسرحًا . وهكذا فإن مسارح الصور المتحركة الصغيرة أصبحت تعرف فيما بعد « بالنيكل – أوديون » . كان كثير من الناس يعتبرون أفلام « النيكل – أوديون » أفلاماً خليعة ، حتى إن بعض الصحف الأمريكية هاجمتها فى تعليقاتها وقالت إن لهذه الأفلام آثاراً سيئة على الأطفال .

ونتيجة لذلك بدأت الرقابة على الأفلام فى أمريكا واستمرت سنوات كثيرة .

على أن أرباحا كبيرة أخذت تتحقق فى صناعة السينما ، ومن ثم صمم أديسون على محاولة استبعاد شركات أخرى من الميدان ، أى ميدان صنع الأفلام . ونظرًا لأنه كان قد حصل على براءات الاختراع الأساسية ، فقد نجح لبعض الوقت فى ذلك ، وحمل بعض منافسيه على الانضمام إليه فى تأسيس شركة جديدة التى حاولت أن تكون شركة احتكارية . وبهذه الطريقة حاول السيطرة على الإشراف على الأفلام وإنتاجها وتوزيعها فى أمريكا . ولقد سميت الشركة الجديدة بشركة براءات الاختراع للصور المتحركة . وجدير بالذكر أن شركة أيستمان كوداك كانت جزءًا من هذا المشروع ولم تكن تستطيع بيع أفلام للمنتجين الذين لا يدفعون رسومًا للترخيص للشركة الاحتكارية .

وعمد أديسون إلى بناء أستوديو كبير فى نيويورك ، لأنه كان من السهل فى هذه المدينة الحصول على ممثلين وعمال مسارح وغيرهم من الرجال الذين يستطيعون أن يخططوا لتوجيه إنتاج الأفلام . وفى نيويورك اتفق مع د . و . جريفيث على أن يعمل

ممثلاً وكاتبًا فى ١٩٠٧ . وكان أول فيلم مثله فيلمًا قصيرًا من أفلام الدراما يدعى « أنقذ من عش صقر » ومازالت بعض نسخ هذا الفيلم موجودة حتى الآن ، وكان كثير من الناس فى تلك الأيام يدخلون الحقل السينمائى عن طريق المصادفة ، وأصبح بعضهم فيما بعد نجومًا لامعين ذوى شهرة واسعة .

على أنه كان هناك رجال آخرون مصممون على أن ينتجوا أفلامهم الخاصة ويوزعوها ، واستطاع هؤلاء الرجال أن يحصلوا على كاميرات وأفلام أجنبية ، ومن بين أشهر الكاميرات التى كانت معروفة فى ذلك الوقت كاميرا « باثى – Pathe » من فرنسا .. لم تسكت شركة أديسون لبراءات الاختراع على ذلك .. فاستأجرت بعض رجال المباحث لإلقاء القبض على منتجى الأفلام وتقديمهم للمحاكمة .

لقد حدث فى عام ١٩٧٠ أننى زرت مدينة هوليوود وقابلت آرثر ميللر الذى كان من رواد مصورى الصور المتحركة وهو الذى قام بتصوير مسلسل « هلاك بولين » ، وقد أرانى كاميرته طراز « باثى » وعرض جزءًا من فيلم فيها .. وكانت الكاميرا ممتازة . لقد بدأ آرثر ميللر عمله كمصور سينمائى لشركة كانت تصور الأفلام فى أحراش نيو جيرسى ، وأخبرنى بأنه اضطر مرات عديدة إلى التقاط كاميرته والهروب لكى يتجنب الوقوع فى أيدى رجال المباحث الذين يعملون لحساب أديسون .

وإلى جانب ذلك كانت هناك حالة تمرد عند الرجال الموزعين للأفلام ، فهم لم يكونوا راغبين فى دفع الرسوم لشركة براءات الاختراع ، وحاول بعضهم الدخول فى حقل الإنتاج ، وأصبح البعض منهم فيما بعد أصحاب أول استوديوهات فى هوليوود . وقررت شركة أيستمان كوداك أيضاً أن تبيع الأفلام للمنتجين العاملين خارج إطار الشركة الاحتكارية .

ولعلنا لا نتعدى الحقيقة إن قلنا إن محاولات شركة براءات الاختراع للاحتفاظ باحتكارها بطريقة غير مباشرة ، قد أدت إلى دفع الفن السينمائى خطوات كبيرة إلى

الأمام . وثمة شركة اتجهت إلى صناعة السينما بالرغم من أديسون وهى شركة « أميركان بيوجراف آند موتوسكوب كومبانى » التى اشتهرت باسم « بيوجراف » استطاعت هذه الشركة أن تصنع كاميرا تقوم أثناء تشغيلها بتخريم الفيلم ، وبذلك تجنبت انتهاك إحدى براءات الاختراع الخاصة بأديسون ، كانت أفلام شركة بيوجراف متقنة الصنع وأصبحت مشهورة عند الجمهور الذى بدأ يتطلع إلى مشاهدة الممثلين والممثلات المعجب بهم .

كانت هناك شركة توزيع فى أيلينوليس وويسكونسن التى قررت أن تدخل حقل الإنتاج ، وكان اثنان من الرجال المضطلعين بإدارة الآلة هما الأخوان « إينكين » ، لقد أصابت أفلامها نجاحًا ، وكانت إحدى شركاتهما هى التى استأجرت د . و . جريفيث الرجل الذى أعطى السينما لغتها الخاصة بها ، ففى عام ١٩١٤ جمع إخوان إينكين الأموال لتمويل بداية إنتاج الفيلم الذى تولى إخراجه د . و . جريفيث وهو فيلم « مولد أمة » الذى أصبح أعظم فيلم فى عصره .

مازال روى اينكين على قيد الحياة ، وقد كنت سعيد الحظ لأن أزوره فى بيته فى ويسكونسن منذ بضع سنين . وقد قال لى إنه لولا السياسات المقيدة التى كانت شركة براءات الاختراعات تنتهجها لما استطاع هو وشقيقه أن ينتجا الأفلام .

وثمة ظرف من الظروف التى ساعدت على تنمية صناعة الصور المتحركة فى أمريكا وحدث نتيجة لحملة سياسية ، فقد كلف ريتشارد كروكر ، الذى كان مرشحًا عن ولاية نيويورك ، أديسون بصنع ٨٠ آلة عرض لعرض أفلام كان كروكر يأمل فى أن تساعده فى حملته ، ووجد معه عددًا كبيرًا من آلات العرض ، وقرر بيع آلات العرض هذه فى المدن الأمريكية المختلفة وجرى استعمالها على الفور .

وإلى جانب ذلك عمد أديسون إلى صنع آلات عرض صغيرة لبيعها للأشخاص الذين يرغبون فى استخدامها فى بيوتهم .. ولكى يتسنى خفض أسعار الأفلام ، أعدت

نسخ لاستخدام صور صغيرة ، وكان فى المدينة التى كنت أقيم فيها أحد الجيران الذى كان لديه آلة عرض طراز أديسون يرجع صنعها إلى عام ١٩١٢ وبعض الأفلام ، وكانت الأفلام أفلامًا محددة العرض من مقاس ٣٥ ملليمترًا ولكن كانت هناك فيها ثلاثة صفوف من الصور . ولكى تستطيع أن تعرض الصف الأول من الصور تعد العدسة لعرض صور الصف الأول ثم تبدأ فى عرض الفيلم ولكن ينبغى عدم إخراجه من آلة العرض « البروجكتور » . ثم تحرك العدسات إلى الوضع الوسط وتبدأ فى عرض الفيلم الذى يلف بطريقة عكسية لكى يجرى عرض الجزء المتوسط من القصة .

وأخيرًا تضبط العدسات فى الوضع الثالث ، وتبدأ فى عرض الجزء الأخير من الفيلم ، ثم تعيد لف الفيلم لإعداده للبداية مرة أخرى .

ما الذى يمكن قوله عن الصفة الفنية لأفلام أديسون ذات البكرة الواحدة ؟

الحقيقة ، ليس هناك الكثير الذى يمكن ذكره عنها ، لأن غالبيتها من أفلام الميلودراما والكوميديا .. وكانت تتناول موضوعات مثل مشاكل الفئات العاملة من الناس وأخطار المشروبات الروحية والجريمة والحب . ولم يكن هناك شخص فى مؤسسة أديسون يستطيع إعطاء السينما اتجاهًا جديدًا ، وبدأت الشركات تنتقل إلى الغرب حيث الشمس الساطعة فى كاليفورنيا وحيث كان الإنتاج أسهل ، ولم يقف أديسون مكتوف اليدين ، بل إنه أوفد مخبريه إلى كاليفورنيا ، ولكنه كان يحارب معركة خاسرة مع فئات من الناس المهرة الأذكياء .

ويبدو واضحًا أن أديسون نفسه لم يكن لديه أى اهتمام فنى بالأفلام ، واضطره عجز شركته عن مواجهة المنافسة الضارية من جانب الشركات الأخرى إلى فقدان الاهتمام بصناعة الصور المتحركة . وحدث فى عام ١٩١٥ أن شب حريق هائل فى معمل أديسون الرئيسى فى ويست أورانج ، وأدى هذا الحريق إلى أن تقرر الشركة وقف صناعة الأفلام .

وأحب أن أنهى مقالى بأن أقرر أن إنتاج الصور المتحركة التجارى فى أمريكا قد بدأته شركة أديسون ، ويجب الاعتراف بفضل وليم ديكسون لما بذله من جهود فى بناء صناعة الصور المتحركة فى أمريكا ، لقد كانت اختراعاته هى البداية .

وتحدث جوردون هندريك فى كتابه « أسطورة أديسون المتحركة » عن ديكسون فقال : « لقد كان هو المركز الأساسى لعمل الصور المتحركة فى شركة أديسون أثناء فترة الكمال الفنى لهذه الصناعة ، وفى الوقت الذى كان الآخرون قد اتجهوا فيه إلى الاستخدام التجارى لهذه الوسيلة الجديدة ، كان هو الأداة التى استخدمها هؤلاء الآخرون لتحويلها إلى صناعة منتجة مثمرة » .